جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس
كلية الآداب و العلوم الإنسانية - ظهر المهراز
Université Sidi Mohamed Ben Abdellah de Fès
Faculté des Lettres et des Sciences Humaines - Dhar El Mahraz

الثقافة الشعبية
والتراث المحلي بالمغرب الواحي

إشكالات ومقاربات

تنسيق:
عبد القادر محمدي

منشورات
مختبر الدراسات النفسية
والاجتماعية والثقافية

Publications
Psychological, Sociological &
Cultural Studies

الثقافة الشعبية والتراث المحلي بالمغرب الواحي:
إشكالات ومقاربات

كتاب جماعي

تنسيق:

د. عبد القادر محمدي

اللجنة العلمية:

عبد الرحيم العطري	بن محمد قسطاني
مولاي عبد الكريم القنبعي	إبراهيم حمداوي
عبد الغني الزياني	عبد القادر محمدي
محمد جاج	إبراهيم اجهابلي
عبد الفتاح الزهيدي	عبد المالك بوزكراوي
الصديق الصادقي العماري	

الكتاب: الثقافة الشعبية والتراث المحلي بالمغرب الواحي: إشكالات ومقاربات

- تأليف: مجموعة من الباحثين
- تنسيق: الدكتور عبد القادر محمدي
- الناشر: مختبر الدراسات النفسية والاجتماعية والثقافية، فاس
- الطبعة: الأولى
- السنة: 2021
- الإيداع القانوني: 2021MO4571
- ردمك:978-9920-34-470-8
- طبع وتصميم: مطبعة آنفو –برانت، 12 شارع القادسية – الليدو – فاس
- الهاتف: 06.61.20.16.41/05.35.64.17.26/ الفاكس 05.35.65.72.47
- البريد الإلكتروني: infoprintfes@gmail. com

- حقوق الطبع محفوظة لمختبر الدراسات النفسية والاجتماعية والثقافية
- الأفكار الواردة في هذا المؤلف الجماعي تعبر عن وجهات نظر أصحابها

مظاهر الثقافة الشعبية عند قبائل عرب الصباح-غريس
الطقوس الاحتفالية

الصديق الصادقي العماري*

تقديم

ما الذي يجعل من ثقافة ما "شعبية"؟ ما "الشعبي" الذي يضاف إلى الثقافة ليجعلها مفترقة عن سواها؟ وما هي أشكال وعناصر الثقافة الشعبية "الجرفية"؟ وأين تتجلى تمظهراتها؟ هي أسئلة وغيرها سنحاول من خلالها الوقوف عند التراث الشعبي لمنطقة الجرف، وتحديد أهم منطلقاته وتمظهراته المجتمعية، وشكل اشتغاله في علاقته مع الإنسان والمجال.

حظيت الثقافة الشعبية باهتمام كبير من لدن الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية على وجه الخصوص، على اعتبار أن الدراسات الأنثروبولوجية الأولى كانت حول الأشكال والسلوكيات والتعبيرات الأولية للحياة البدائية للإنسان، ونمط وطريقة عيشه وأسلوب حياته. وفي نفس السياق، ركزت الدراسات الاجتماعية بالأساس حول العلاقات الاجتماعية بين الناس، ونوع التأثير والتأثر بين الإنسان والمجال، وما يمكن أن يولده من أشكال ثقافية في علاقة هذا الإنسان بالبيئة المحيطة به، كذلك تمظهرات هذه العلاقة على مستوى دينامية وتطور كل جماعة اجتماعية والنسق الاجتماعي ككل.

إن إحياء الثقافة الشعبية والاهتمام بكل مكوناتها وعناصرها، باعتبارها أحد مقومات الهوية والشخصية القومية، يعد من متطلبات العصر الحالي الذي طغت فيه المادة عن القيم والأخلاق، وتكاثرت فيه المشاكل الاجتماعية، كذلك الاعتماد الكبير على الثقافة من أجل التحكم والسيطرة في الشعوب والأمم المستضعفة، خاصة في ظل زمن التقدم التكنولوجي، وبهذا وجد الإنسان نفسه، بشكل عفوي أو قصدي، أمام ضرورة أرشفة وتدوين التراث المحلي من عادات وتقاليد وطقوس واحتفالات وتعاقدات وتضامنات وفنون...، تؤصل وتجسد لوجده الإنساني على مر التاريخ، وتنطق باسم الجماعة وباسم المجال.

---

* - طالب باحث / جامعة سيدي محمد بن عبد الله-فاس

أما الحديث والخوض في التراث الثقافي الشعبي الجرفي يتعلق باستحضار الجرف العريقة بوصفها فضاء ثقافيا رحبا له امتداداته التاريخية والجغرافية الضاربة في عمق التخوم الجنوبية الشرقية للمغرب. فكل الأشكال الثقافية الشعبية التي أنتجها وأعاد إنشاءها الإنسان الجرفي بواحات غريس لم تكن عبثا، بل ارتبطت بأحداث ووقائع لها علاقة بالزمان والمكان وطبيعة التفكير الإنساني ونمط العيش، وكل الإمكانات والوسائل الثقافية التي ابتدعها أو طورها الإنسان، الممكنة والمتاحة للاستقرار والعيش الكريم.

إنها أشكال تجسد لتفاعلات الإنسان مع المجال، من خلال التأثير والتأثر المؤدي إلى تعبيرات عفوية بمسحة تراثية فنية، وإن دراسة من هذا النوع من شأنها التنقيب في أنماط الثقافة الشعبية عند قبائل الجرف بواحات غريس كشكل تعبيري حامل لذاكرة جمعية، ساهمت في رسم معالمها روافد وأنساق متعددة. إنها محاولة لإدخال ما هو تراث هامشي منسي، لم ترصده النصوص المكتوبة، إلى دائرة الضوء في بعض جوانبها، مع طرح ومسألة ونقل هذا التراث إلى حيز الكتابة والأرشفة، مع الأخذ بعين الاعتبار العلاقات الجدلية بين هذه الأشكال ونوع العلاقات الاجتماعية المؤطرة للجماعات الاجتماعية، وانعكاسات هذا كله على الهوية، وعلى تطور وتقدم هذه المجتمعات داخل النسق الكلي، ومدى إسهامه في التقدم الحضاري ضمن الثقافة الكونية.

1.الثقافة الشعبية

نعترف مبدئيا أننا بصدد مشكلة مفاهيمية معقدة أثير حولها الكثير، حيث اتسم الوقوف عند مفهوم الثقافة الشعبية بمجموعة من الدلالات المتضاربة، فقد نعتت منذ زمن بثقافة الهامش، والثقافة المتأخرة والفارغة أحيانا، في مقابل الثقافة الرفيعة والثقافة الرسمية. فالشعبية صفة مشتقة من كل ما يصدر عن الشعب قولا وممارسة وسلوك وتصورا للحياة والأشياء. ويندرج في هذا الأمر كل ما هو موجه للاستهلاك الشعبي والجماهيري، غير أن البعض يرى أن "الشعبية" مفهوم "إيديولوجي لا يجد مبررا للاستعمال والتداول إلا في المجتمعات الطبقية، التي تقسم مسألة السلطة والهيمنة ومواطنها إلى طبقة مسيطرة مهيمنة، وطبقة

خاضعة محكومة... ولكل من الطبقتين رؤيتها وتصورها عن الواقع، تصوغ بهما إيديولوجيتها المعروضة على الواجهة الثقافية. وفي هذه المجتمعات يصطلح على الثقافة الطبقية المسيطرة، بالثقافة الرسمية، مقابل ثقافة الطبقة المحكومة المهيمن عليها"[1]. هذا الاتجاه لم يعترف بالشعبية واعتبره يشير إلى تعبيرات وممارسات الطبقات التي تخضع للسيطرة، وبذلك خضع للتهميش لأنه من وجهة نظرهم لا يمثل الثقافة السمية المبنية على القواعد والأصول المعرفية العلمية.

وقد توالت الاجتهادات حول مفهوم "الشعبية" إذ أنه لم يعد حبيس هذا التوجه فقط، حيث تم فتح آفاق رحبة أمامه، متقاربة أحيانا ومتضادة أحيانا أخرى، خاصة عند ربطه بالثقافة، ومع ذلك ظل رهين بمجموعة من التأويلات والتفسيرات، لأن "الثقافة الشعبية قلما أطلقت لدينا على مقابلها الحرفي باللغة الإنجليزية(Popular Culture) الذي يستبطن معنى الثقافة الشائعة، أو الأكثر انتشارا، أو ثقافة الجمهور، أي كل ما يقف في مواجهة ثقافة أخرى مضادة، هي الثقافة الرسمية، أو الراقية، إلا أن شيوع الاصطلاح أعفى باحثين كثرا من مهمة إيجاد اصطلاح آخر للتفريق بين الشعبي بمعنى الشائع، والشعبي بمعناه الفولكلوري، فمعلوم أن ثقافة فولكلورية ليست -بالضرورة- هي الثقافة التي يتداول إنتاجها وتلقيها السواد الأعظم من الجمهور"[2].

إن هذا الاختلاف في مفهوم "الشعبي" حدا بالعديد من الباحثين إلى اعتماد مفهوم الفلكلور، باعتباره "مشتقا من لفظتين لاتينيتين: فولك Folk أي عامة الناس أو الشعب، ولور Lore: أي المعرفة أو الحكمة، لتصبح الترجمة: حكمة الشعب أو معرفة الشعب. استعمل هذا المصطلح لأول مرة من قبل الباحث الإنكليزي وليام جون تومز في مقال نشره في جريدة "ذي أثنيوم" في شهر أوت من سنة 1846. ولم يكشف ووقتئذ هذا الباحث عن اسمه، وقع البحث باسم مستعار

---

[1] بزيكا محمد، مفهوم الثقافة الشعبية بين المثقف العضوي والتقليدي، مجلة آفاق، منشورات اتحاد كتاب المغرب، السلسلة الجديدة، ع9، يناير 1982، ص 13.

[2] ستوري جون، ما الثقافة الشعبية؟، ضمن: الكرنفال في الثقافة الشعبية، إعداد وترجمة: خالدة حامد، ط1، منشورات المتوسط، بغداد، العراق، 2017، ص07.

وهو امبروز ميروتون"[1]. وبهذا ارتبط الفلكلور، كحقل معرفي علمي يدل على الممارسات الإنسانية اليومية بما تشتمل عليه من "الأساطير والخرافات والقصص الشعبية، والنكات...، والملابس الشعبية، والفن الشعبي، والمعتقدات الشعبية والطب الشعبي،....، وأغاني الكبار في تلعيب الأطفال والإيماءات والرموز... وطرق الطبخ وأنماط التطريز وأنماط البيوت، والأسوار وبيوت الحيوانات، وما يقال لطرد الحيوانات أو استدعائها والاحتفالات الشعبية في المواسم والأعياد والمناسبات المختلفة"[2].

اختار الباحثون الفلكلور باعتباره علما جديدا يتميز بالشمولية وغنى الموضوعات، لذلك حضي بمكانة علمية خاصة إلى جانب العلوم الاجتماعية والإنسانية، فهو "يتناول دراسة ثقافة المجتمعات وآثارها المادية في مرحلة الحضارة التي سبقت مرحلة التحديث المعاصرة، حيث وجد العطاء الحضاري للإنسان من خلال ذاته المرتبطة بالجماعات الفطرية كالأسرة والمجتمع المحلي، اللّذين يضمنان رعاية فردية للإنسان وإطاره الذاتي، كما تشمل الدراسة الفلكلورية خبرة الإنسان الفكرية والمادية والآثار الّتي تركها في هذا المجال"[3]. ويتداخل علم الفلكلور مع الأنثروبولوجيا لكونهما يتقاطعان في دراسة الإنسان وممارساته وأعماله وإنتاجاته ضمن ثقافته بفعل تراكماته وخبراته البشرية، خاصة في مرحلة سبقت التحديث التي تجسد لمجهود الإنسان الذاتي في علاقته بالبنيات المجتمعية التي يعيش ويتعايش معها.

وقد اكتسبت الأبحاث الفلكلورية أهمية بالغة في الدراسة الاجتماعية والأنثروبولوجية بالجامعات ومراكز البحث الغربية، من خلال الاهتمام بأصول الشعوب وطقوسها وعاداتها وتقاليدها وممارساتها الإبداعية في علاقتها مع البيئة التي تعيش فيها، منذ النص الثاني من القرن العشرين، غير أن "المنظومة الفكرية

---

[1] قبايلي عمر، مدخل للثقافة الشعبية العربية-مقاربة أنثروبولوجية-، الأثر(مجلة الآداب واللغات)، ع7، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ماي 2008، ص 175.

[2] الملقي هيام، ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1995، ص 261.

[3] البرغوثي عبد اللطيف، بين التراث الرسمي والتراث الشعبي، مجلة الصامد الاقتصادي، العددان 67-68، السنة 9، أيار، حزيران تموز، آب، 1997، ص 24.

العربية، وواقع وآفاق الثقافة الشعبية، تخوفت من استعمال مصطلح الفلكلور كمصطلح علمي، وذلك راجع بدون أدنى شك إلى ذلك الفهم الخاطئ والخطير لهذا المصطلح، حيث أفرغوه من معانيه الصحيحة وأكسبوه دلالات غير علمية وغير صحيحة ليصبح عند المثقف العربي مرادفا دلاليا للفوضى وللتخلف وللهمجية وللضعف وللسذاجة"[1].

إن تشعب وتعدد وجهات النظر حول حقيقة الثقافة الشعبية وعلاقتها بالفلكلور، وقيمة وأهمية الفلكلور بين الدراسات الغربية والعربية، جعل من الثقافة الشعبية مفهوما زئبقيا يصعب القبض عليه، حيث بقي هذا الأخير في إطاره الإيديولوجي، فمن وجهة نظر العلوم الاجتماعية نجد "أطروحتين متعارضتين كليا: الأولى التي يمكن نعتها بأنها انتقاصية للثقافات الشعبية لا تعترف لها بأية حيوية أو إبداعية خاصتين بها. فليست الثقافات الشعبية في نظرها، إلا مشتقات من الثقافات المهيمنة، وهذه وحدها هي التي يمكن أن يعترف بشرعيتها، وهي التي تتناسب، إذا، مع الثقافات المركزية، الثقافة المرجعية. والثانية ليست الثقافات الشعبية، في نظرها، إلا ثقافات هامشية، فلا تكون، إذن، إلا نسخا رديئة من الثقافة الشرعية التي لا تتميز الأولى منها إلا عبر صيرورة تفقير. إنها ليست إلا تعبيرا عن الاستلاب الاجتماعي الذي يمس الطبقات الشعبية الفاقدة لأية استقلالية"[2].

الثقافة الشعبية تتراوح بين الحضور والغياب، وتحاول في كل مرة إثبات وجودها بقوة الأشياء رغم كل ما يمارس عليها من الاستلاب والتحكم والسيطرة، ومع ذلك، "الثقافات الشعبية لا تبدو، لدى تحليلها، لا تابعة بصفة كلية ولا مستقلة تماما ولا مجرد مقلدة ولا مجرد مبتدعة. وهي في ذلك لا تزيد عن تأكيد أن كل ثقافة معينة هي تجميع عناصر اختراقات أصيلة وأخرى مستوردة، إنها مثلها مثل أية ثقافة أخرى، ليست متجانسة، ولكن ذلك لا يعني أنها غير منسجمة. الثقافات الشعبية هي تعريفا، ثقافات مجموعات اجتماعية تابعة، فهي إذا، تتكون في وضعيات هيمنة على أساس هذا الاعتبار، ألح عدد من علماء الاجتماع على ما

---

[1] قبايلي عمر، مدخل للثقافة الشعبية العربية-مقاربة أنثروبولوجية-، مرجع سابق، ص 177.

[2] هرهار عبد الله، التنوع الثقافي: قضايا وإشكالات، منشورات أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب،2020، ص79.

تدين به الثقافات الشعبية لجهد المقاومة التي تبديها الطبقات الشعبية تجاه الهيمنة الثقافية"[1].

وإذا حاولنا القبض على مفهوم الثقافة الشعبية سنجد أنفسنا بين مجموعة من المفارقات ونبقى في سلسلة محاولات، وفي هذا الصدد يرى ميشال دوسرتو Mechel de Cereau أن "الثقافة الشعبية هي: "الثقافة الاعتيادية" للناس الاعتياديين، أي ثقافة تصنع يوما بيوم خلال الأنشطة العادية والمتجددة يوميا، وفي آن معا. بالنسبة إليه لم تنته الإبداعية الشعبية ولكنها لا تكون ضرورة في الموضع الذي نبحث عنها فيه ضمن الإنتاجات القابلة للرصد والتحديد بوضوح، إنها متعددة الأشكال ومبثوثة"[2]. من هذا القول نستشف أن الثقافة الشعبية ترتبط بالممارسات اليومية للإنسان العادي، والتي تظهر في أسلوب عيشه اليومي عبر مجموعة من الأنشطة التي يستديم عليها داخل جماعة اجتماعية معينة، تقون مقبولة ومتعارف عليها لدى الجميع، وبالتالي هي تمثل الجماعة ولا تمثل الفرد، وقد تختلف هذه الأنشطة من جماعة إلى أخرى، ومن شعب إلى شعب حسب نوع الثقافة العامة السائدة.

و يشيع بين معظم المحاولات البحثية المتوالية مميزات للثقافة الشعبية كانت أكثر تكرارا من غيرها، في مقدمتها: "التداول وسعة الانتشار وانتقالها شفاهة وعاميتها لغة ورواية، وارتباطها إيكولوجيا بالريف، واجتماعيا بالمجموعات الأولية والعامة من القوم. وأنها تعبير عن بساطة الحياة إنتاجا واستهلاكا وأن مبدعيها غالبا مجهولون"[3]. ومن هذا المنطلق، تعد الثقافة الشعبية شكلا وممارسة ترتبط أشد الارتباط بالجماعات الاجتماعية البسيطة من حيث نمط العيش وأسلوب الحياة، سواء على مستوى العادات والتقاليد والطقوس الشعبية، حتى سلوكيات الأكل والملبس والاحتفالات وممارسة المقدس وغيرها من المميزات التي تعبر عن سلوك

---

[1] هرهار عبد الله، المرجع السابق، ص79.

[2] هرهار عبد الله، المرجع نفسه، ص 80.

[3] الجراري عباس، المبدع بين الفردية والجماعية، مجلة المأثورات الشعبية، العدد الثالث، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، الدوحة-قطر، يوليو 1986، ص37.

الإنسان العادي في علاقته الإبداعية مع المحيط الذي يعيش فيه، وهو في الغالب قروي أو ريفي أو ضمن مجال الواحة.

الثقافة الشعبية تشكل مستوى معينا من مستويات الثقافة العامة، أما عن مكوناتها وبنودها "فثمة إجماع أو يكاد، على أنها تشتمل على المعتقدات والمعارف الشعبية والعادات والتقاليد والصناعات الشعبية والأدب الشعبي والموسيقى والفنون الشعبية، قولا ورمزا ولونا وصوتا، والطب الشعبي.... وأن الخلاف كان حول مقادير التفصيل في هذا البند أو ذاك، أو تصنيف أحد العناصر تحت هذه الفئة أو تلك"[1]. وبهذا المعنى، يمكن القول أن الثقافة الشعبية تشكل مجموع الأشكال والممارسات والتعبيرات المادية واللامادية التي تحكم جماعة اجتماعية معينة في وسط معزول أو شبه معزول، والمقصود هنا البعد عن المركز أو الوسط الحضري.

إن أهم ما يثير الاهتمام أثناء الوقوف عند مفهوم الثقافة الشعبية ليس فقط تحديد محتواها الإيكولوجي، الذي يجعل انتمائها في الغالب متعلق بالقرى أو المجتمعات الزراعية، أو الاجتماعي الذي اعتبرها نتاجا لمراحل سابقة أولية أو أقل تطورا من الناحية الحضارية أو أكثر تقليدية من الناحية الثقافية. بل أيضا تلك الأحكام التي حفلت بها محاولات تحديد مضمون "الشعبية" والتي تكشف عن موقف متعال متحيز ضد مبدعي هذه الثقافة وحافظيها، والتي تجلت فيما أطلق على هذه الثقافة من أوصاف، باعتبارها أمية جاهلة وأقل علما ومعرفة، وما إلى ذلك من نعوت حفلت بها التعريفات الأوروبية للتراث الشعبي والثقافة الشعبية.

2.المجتمع الجرفي (عرب الصباح غريس)

تعد قبائل عرب الصباح من أهم القبائل العربية التي تكون النسيج المجتمعي لتافيلالت، والجنوب الشرقي عامة، لأنها استوطنت واحات غريس منذ القديم وحملت معها ثقافة تجسد لطبيعة الإنسان ونمط تفكيره وأسلوب عيشه، و"يقصد بقبائل عرب الصباح غريس تلك الفئة من عرب الصباح القادمون من

[1] العمد هاني، في التراث الشعبي وإشكالية تصنيفه، مجلة المأثورات الشعبية، العدد الثاني، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، الدوحة-قطر، أبريل 1986، ص38.

شبه الجزيرة العربية الذين استقروا بالمناطق الواحية الموجودة بالقرب من ضفة واد غريس، وحسب التقسيم الإداري الحديث فإن هذه المناطق تصنف وفق ثلاث جماعات وهي: الجماعة الحضرية الجرف، والجماعة القروية فزنا، ثم الجماعة القروية عرب الصباح غريس".[1]

الأمر الذي أكده F.Gender، أثناء حديثه عن أصل كلمة تافيلالت، بقوله: "كلمة تافيلالت هي الصيغة البربرية لكلمة «فيلال» التي هي اسم منطقة بالجزيرة العربية. وأن استعمال هذه الكلمة قد شاع في مرحلة قدوم الهلاليين إلى بلاد المغرب بفضل «عرب الصباح» الذين استقروا في منطقة تيزيمي والجرف بإقليم سجلماسة بعد أن رافقوا الهيلاليين في طريقهم نحو الغرب"[2].

أما الجماعة الحضرية "الجرف" فتقع بين مدينة أرفود وومنطقة فزنا، وتحدها شمالا الجماعة القروية الرتب، وجنوبا الجماعة القروية مصيصي، وغربا الجماعة القروية فزنا، وشرقا الجماعة القروية عرب الصباح غريس. "و بالرغم من تضارب الروايات الشفهية التي تحدد أصل تسمية "الجرف" إلا أن أكثرها تداولا تؤكد أن هذه التسمية لها ارتباط بالقوافل التجارية التي كانت تأتي من اتجاهات مختلفة محملة بالبضائع فتستريح بجرف في الجبل، أو ما يسمى ب "جرف الظل" غرب قرية الجرف وهناك كانت تتفق حول المواعد لتبادل السلع التجارية أيام ما كان يعرف "بالسيبة"، والحروب الداخلية، ولذلك سميت المنطقة بالجرف، وهناك احتمال آخر في سبب التسمية ويرتبط بطبيعة الواحة التي تعَرف انخفاضا، بحيث تأتيها المياه من جل الجهات وهذا احتمال وارد أيضا حسب الروايات الشفهية".[3]

---

[1] السعيدي عبد الرزاق، مجتمع الواحة بالجرف(تافيلالت) وأنساقه الثقافية والفنية-مقاربة تاريخية لثقافة وفنون الهامش-، كتاب جماعي: "درعة تافيلالت فنون الفرجة، الأنماط الثقافية والمجتمع"، إعداد وتنسيق: د. عبد الرزاق السعيدي، منشورات جمعية فضاء النخيل للتنمية وتدوين التراث المحلي بالجرف، بدعم من المديرية الجهوية لوزارة الثقافة-درعة تافيلالت، مطبعة ETERCOS، الرشيدية، المغرب، مارس 2017، ص 17-18.

[2] حافظي علوي حسن، سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1997، ص 90.

[3] السعيدي عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 18.

وضمن واحات عرب الصباح غريس "تقع الجماعة القروية "فزنا" على بعد 27 كلم من "أرفود" و7كلم من "الجرف". تحدها الجماعة القروية "الرتب"، و"مدغرة" و"الخنك" شمالا، والجماعة الحضرية "الجرف" والجماعة القروية "عرب الصباح غريس" جنوبا. والجماعة القروية ملعب غربا، ثم الجماعة القروية عرب الصباح زيز. وهي تضم مجموعة من القصور كأولاد غانم والعشورية وأولاد جلال وأولاد الشرقي والقصيبة والقصر الجديد"[1]. أما بالنسبة لسبب التسمية بفزنا فهناك- حسب ما تؤكده الرواية الشفهية-، "سبب وحيد يتكرر على ألسنة الساكنة، يتمثل في أن أهالي هذه المنطقة تغلبوا على أعدائهم في إحدى المعارك الحاسمة، فصاروا يرددون ببهجة النصر عبارة "فُزْنَا...فُزْنَا" فتم تسمية هذه المنطقة الواحية بتسمية (فْزْنَا أو فْزنَة)".[2]

وتجدر الإشارة إلى أن قبائل عرب الصباح المتواجدة في الجماعتين السابقتين تربطها علاقات دائمة مع قبائل جماعة عرب الصباح غريس، كما يتميز جميع السكان في الجماعات الثلاث بنفس نمط وطريقة العيش والنشاطات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، فالجماعة القروية "عرب الصباح غريس" تم إحداثها سنة (1992م). "وهي تنتمي إداريا لقيادة فزنا دائرة أرفود، كما أنها خاضعة لاستقطاب بلدية الجرف، وتقدر مساحتها ب410 كلم، وتحدها إداريا خمس جماعات وهي: جماعة عرب الصباح زيز شمالا، وجماعة امصيصي غربا، وجماعة عرب الصباح زيز وجماعة بني امحمد شرقا، وجماعة بني امحمد وجماعة اسفلات جنوبا. ويبلغ عدد سكانها حوالي 4937 نسمة حسب إحصاء 2004. موزعة على ثلاثة قصور (حنابو، الكراير والبويا)[3].

إن قبائل عرب الصباح بواحات غريس تشكل عائلة واحدة، لأنهم من أصل واحد ونسب واحد، وبينهم تقاطعات كبيرة لدرجة أنه يستحيل الفصل بينهم من

---

[1] زنوجي رشيدة، ونسيت أنها أنثى (رواية)، مراجعة وتقديم: الصديق الصادقي العماري، منشورات مجلة كراسات تربوية، الرشيدية، مطبعة بنلفقيه، الرشيدية، المغرب، مارس 2020، ص 7-8.

[2] رواية شفوية، المصطفى اعميمي، أستاذ وباحث في التراث، رئيس جمعية فضاء النخيل للتنمية وتدوين التراث المحلي بالجرف، الأربعاء 02 دجنبر 2020.

[3] المخطط الجماعي للتنمية حول الجماعة القروية عرب الصباح غريس، إعداد الجماعة القروية عرب الصباح غريس بدعم من وكالة التنمية الاجتماعية، 2011-2016، ص 9.

حيث طبيعة العيش والأشكال والتعبيرات الثقافية. غير أنه في هذه الورقة سنركز على سكان منطقة الجرف باعتبار هذه المنطقة هي الجامعة لكل أصناف قبائل عرب الصباح الذين استوطنوا واحات غريس منذ البداية، مع التركيز أن الأشكال الثقافية الواردة بمنطقة الجرف.

3.أشكال ومظاهر الاحتفال الشعبي بواحة الجرف

عناصر الثقافة الشعبية عند قبائل عرب الصباح غريس بالجرف، مثلها مثل التعبيرات الإنسانية بشكل عام، وتظهر في الممارسات اليومية العادية والاحتفالات والأعياد والمناسبات، يمتزج فيها الرقص بالغناء والإنشاد، وتعتمد اللغات والوسائل التعبيرية، بما فيها الكلمة سواء كانت حكيا أو شعرا أو زجلا، إضافة إلى الإيقاع والجسد. وهي أشكال تعبيرية لها وزنها وقيمتها، لذلك سيكون لها تأثير واضح على نمط العيش والسلوك الإنساني والمجتمعي عامة، كما ستتأثر هذه الأشكال الشعبية بنوع الثقافة السائدة، وبالمستجدات التي تطفو من الوقت للأخر، وكل هذا سيخلق علاقات تفاعلية تواصلية بين مختلف الأشكال الثقافية وأسلوب العيش، الذي سيؤثر بدوره على طبيعة التفكير.

إن ما يميز التراث المرتبط بالثقافة الشعبية عند قبائل منطقة الجرف هو قدمه وحداثته، فهو ينهل من عناصر وأشكال متعددة تستمر مع الإنسان، متجددة بتجدد أساليب الحياة، متفاعلة مع المتغيرات الطارئة، مندمجة في سيرورة التاريخ البشري، مقاومة بشكل نسبي لعوامل التفكك والاندثار. ويمكن تحديد هذه العناصر والأشكال في "الأغاني بكلماتها ولحنها وإيقاعها، فهي وليدة المجتمع والبيئة، ويمكن حصرها حسب موضوعاتها، في ثلاثة أنواع: أغاني وجدانية تعبر عن المعاناة العاطفية للإنسان الجرفي في حياته وممارساته اليومية، تصاغ في قالب فني متميز له كلماته ووزنه الخاص، وأغتني وطنية تجسد وتخلد المناسبات الوطنية والزيارات الملكية إلى المنطقة...، أما أغاني السخرية تصاغ في صور هزلية ساخرة، وضعها

الشيخ في قالب كوميدي ظاهريا لكنها تحمل دلالات كبيرة وتفتح مخيلة المتلقي للتأويل واستجلاء كنهها وأبعادها المختلفة، والتي تلامس معيش الإنسان وحاجاته"[1].

إن هذا النوع من التراث الثقافي الشعبي بإمكانه التطور بشكل مستمر، مستوعبا لما استجد، متكيفا مع المتغيرات والمؤثرات المجتمعية، حسب تعاقب الأجيال وامتزاج الثقافات وتناسجها، وما يترتب على ذلك من تراكم كمي وكيفي. يستمد قوته وشرعيته من الطقوس والمعتقدات الدينية، والتقاليد الموروثة، والأدب الشعبي، من قصص وحكايات وأساطير وأمثال وشعر، وألغاز وموسيقى وإيقاعات ورقصات، وغيرها من الأشكال والممارسات التي تجسد للحضور الإنساني، ومدى إسهامه في بناء الثقافة والتأصيل لهويته، وما يرافق ذلك من ألبسة وحلي وأسلحة وآلات عزف وإيقاع.

ومن بين التعبيرات الثقافية الشعبية التي تزخر بها واحة الجرف، وتتمظهر في شكل أغاني وأهازيج وخلجات، ورقصات...، في الأعياد أو المناسبات والاحتفالات عامة، نجد "أغنية "البراد" و"أما عيشة" و"الوشام" وغيرها من الأغاني الشعبية التي تضفي على الحفل أو المناسبة فرجة خاصة. كذلك فن "الميسوري[2]" و"كال مول الكلام" و"التهلال" و"الشطيبي..."[3]. هي مجموعة من الأشكال الشعبية التعبيرية التي تتخذ أشكالا وأنواعا تستعمل حسب السياق والظرفية الزمانية والمكانية، إما مدحا للعريس أو العروس، وإما هجاء لهما، وتؤدى أمام الجميع بصوت مرتفع باستعمال آلة "الطارة" أو كفه، أو فأس عمله بالقرب من فمه ليحدث صدى عبر تموجات

---

[1] الصادقي العماري الصديق، تقديم، ضمن كتاب جماعي بعنوان: توثيق النصوص الشفهية للتراث الشعبي الفني بواحة الجرف تافيلالت-مساهمة في التأريخ وحفظ الذاكرة-، تنسيق: عبد الرحيم رزوقي، بدعم من وزارة الثقافة والاتصال-قطاع الثقافة-، إشراف: المديرية الجهوية للثقافة لجهة درعة تافيلالت، مطبعة مؤسسة الراوي للتجارة والخدمات، الرشيدية، المغرب، ط1، يناير 2018، ص11.

[2] مقاطع غنائية شعبية قصيرة تتغنى بين الحين والآخر في أيام العرس، تتماشى المقاطع وظروف الرجل أو المرأة، ليلا أو نهارا، عاطفية كانت أو وجدانية أو معاناة اقتصادية. ويشمل أنواع وأشكال تعبيرية شعبية، مثل "المزوكي"، و"العراسي"، و"السرابي"، و"البارودي" و"النكادي. أنظر: عبد الصادق سالم، فن الجرفي، ضمن: التراث الشفهي بتافيلالت-الأنماط والمكونات، إشراف: كريمي سعيد وصواك موحى، اتحاد كتاب المغرب-فرع الرشيدية، بدعم من المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، الرشيدية، المغرب، ط1، 2008، ص335-336.

[3] الصادقي العماري الصديق، المرجع السابق، ص12.

صوتية صعودا وهبوطا، "ويبدأ الأداء الحامل للفكرة عادة بموال يتضمن إحدى العبارات التالية: الليل الليل... أو آليام آليام... أو الكاويني الكاويني..."[1].

تمتاز ثقافة أهل واحة الجرف تاريخيا بتعدد مشاربها، فاللمسة العربية ظاهرة من خلال الأشكال الشعبية الغنائية، والتي تعبر عن ثقافة الواحات عامة في العالم العربي من حيث بنائها الجوهري، خاصة في التعبير عن حاجات ودوافه الإنسان الواحي، إنها تبرز صورة نمط وأسلوب الحياة في التواصل والعيش المتضامن، رغم خضوع هذه الأشكال الشعبية لمتغيرات وديناميات عميقة بفعل الترحال والهجرة الداخلية والخارجية.

فالأشكال الثقافية الشعبية التعبيرية بواحة الجرف تتكون من "مجموعة من الطقوس الرمزية والرقصات الجسدية التي تضفي عليها نكهة خاصة، وتجعل منها فنا يحظ بتجاوب جماهيري كبير مادام أنه خطاب يمزج بين بلاغة اللغة الكلامية وبلاغة اللغة الجسدية، ويتكون من ثلاثة نماذج أو قياسات، هي "النكادي" نسبة إلى منطق أنكاد شرق المغرب، و"الميسوري" نسبة إلى منطقة ميسور على اعتبار أن قبائل عرب الصباح هي امتداد للقبائل التي تسكن أنكاد وميسور. وهناك صنف آخر يسمى "كال مول الكلام"، ثم الجرفي النابع من بلدة الجرف"[2].

ويعتبر العرس الجرفي مؤسسة للتكوين واحتفالية في نفس الوقت، فهو مختبر لتكوين شيوخ الفن البلدي الشعبي على الطريقة الجرفية، لذلك له طابع ثقافي واجتماعي، ويعكس طبيعة المجتمع الجرفي وأسلوب ونمط العيش. فالأعراس كانت ولاتزال لقاءات مفتوحة تنتقل من بيت لآخر، أو من قصر لآخر. فالجميع في واحة الجرف يحتفل ويفرح في نفس المناسبة، والعرس الجرفي كذلك فرصة لصلة الرحم والتعبير عن المشاعر والخلجات. فالصغار والكبار، من أطفال وشيوخ، وذكور وإناث، يمتلكون حس الحكاية والدعابة بواسطة الأقوال والحكم الشعبية،

---

[1] الصادق العماري الصديق، المرجع نفسه، ص12.

[2] كريمي سعيد، عتبات التراث اللامادي بتافيلالت اختلاف الأصول وتناغم الروافد، ضمن كتاب جماعي: "درعة تافيلالت فنون الفرجة، الأنماط الثقافية والمجتمع"، إعداد وتنسيق: د. عبد الرزاق السعيدي، منشورات جمعية فضاء النخيل للتنمية وتدوين التراث المحلي بالجرف، بدعم من المديرية الجهوية لوزارة الثقافة-درعة تافيلالت، مطبعة ETERCOS، الرشيدية، المغرب، مارس 2017، ص 55.

ويضبطون كل الأغاني والأهازيج الجرفية، كلمة وإيقاعا، والتي هي من إبداع وصنع الإنسان الجرفي نفسه.

فاحتفالية العرس الجرفي كشفت عن براعة الإبداع والإنتاج الفني الشعبي الذي حظي به المجتمع والفرد بواحة الجرف، إذ أن جميع المقاطع وما يرافقها من أداء بحركات الجسد والملامح وكذلك نوع الكلمات والحكَم المقصودة، نجد كل هذا نابع من ممارسات و"عادات وتقاليد وطقوس وأهازيج وتعبيرات فنية أسست لما نعرفه اليوم بالثقافة الجرفية، فالدعوة للعرس كانت وبشكل ضمني دعوة للمشاركة في الاحتفال، والتي كان الجميع يلبيها عن طيب خاطر...، وقد كانت هذه الطقوس فرصة تسمح للجميع بالتعبير بكل حرية. فنرى من يجامل العريس أو العروس، ومن يهجو عدوا له، وربما نجد من يتذكر أحبابه المغتربين فيتغنى بهم إلى حد الألم، كما نجد العشاق يغتنمون هذه الفرصة لبث شكواهم وللتعبير عن مشاعرهم لمن يحبون، كما نجد الفلاح يعبر عن قساوة الطبيعة وندرة الماء وقلة الأمطار وصعوبة المعيشة"[1].

وفي هذا الإطار، لابد من تقديم نماذج عن هذه الأشكال التعبيرية الشعبية، التي تزخر بها واحة الجرف.

- **<u>الميسوري</u>**

<u>الميسوري</u>[2]

بعض أجزاء مقطوعة العنوان: **الشارفة بغات الزواج**

يا وليدي يحيى الملك يحيى الدين
حتى يانا باغيا نحيي عظامي كاملين
أ ميمتي طلبي ماخصك ماحدني حداك
حتى يانا أ الوليدة باغي ندي رضاك

---

[1] عميمي المصطفى، المزوكي، ضمن كتاب جماعي بعنوان: توثيق النصوص الشفهية للتراث الشعبي الفني بواحة الجرف تافيلالت-مساهمة في التأريخ وحفظ الذاكرة-، تقديم: الصديق الصادقي العماري، بدعم من وزارة الثقافة والاتصال-قطاع الثقافة-، إشراف: المديرية الجهوية للثقافة لجهة درعة تافيلالت، مطبعة مؤسسة الراوي للتجارة والخدمات، الرشيدية، المغرب، ط1، يناير 2018، ص11.

[2] كريمي سعيد، المرجع السابق، 2017، ص 55.

أ وليدي بغيت ندير ما دارو الناس
نخذ راجل ياك إروم النعاس
أسيادي الشارفة باغات الزواج
الراس أحمر أسيادي دقمومها عواج
أوليدي مازلت غليظة أ نايرة
رمي عينيك حيت نتزوج أونجي زايرة
أميمتي فمك راه اخوا من النياب
ولى فمك أ الوليدة بحال القراب
أ وليدي نبيعو القطيعة والجنان
وديني الفاس أوليدي وعاود لي السنان

"النكادي"[1]

سَرْجَكْ مَزينُو بْرَكْبَة
يَا ديك اللابسة رْهيفْ الكَتانْ
أغلب الحرير فالرطوبة
ولا حُوتة مْخَبْلَة في ويدان

فالسرج، المقصود به هو الجسد، جسد المرأة في شكله الجميل، ولباسها رهيف الثوب وأكثر ليونة من الحرير يشبع السمكة في حركتها وهي مخبلة ومقيدة بربيع الوادي. فهي رسالة موجهة للمرأة من أجل الغزل المباشر أو غير المباشر. قد يكون أمام الجميع في احتفال أو مناسبة من المناسبات، وقد يتغنى به الرجل أو الجماعة في جلسة أمام القصر، أو في الحقل أو فوق النخلة، وبالتالي في نشاط من أنشطته اليومية العادية. فإن الخطاب في جميع المقاطع الغنائية الشعبية له أنساق تؤطره، بل له رسالة ذات أبعاد محدد، وهي منفتحة على جميع السياقات المحتملة، وفي نفس الآن مفهومة المقصد والغاية من قبل المتحدث والمتلقي، وكذلك كل المستمعين، وربما تكون في بعض الأحيان موجهة للجميع ومن الجميع. وهذا الطرح الأخير نجده في القصايا التي تهم المجتمع الجرفي عامة، إما أمور القبيلة، أو

[1] كريمي سعيد، المرجع نفسه، ص13.

الماء، أو بعض القيم الخاصة بالمرأة والتي تدخل ضمن شرف العائلات، وهمة وقيمة المجتمع الجرفي ككل.

وهناك نوع آخر من التعبيرات الفنية ضمن احتفالية المجتمع الجرفي، إنه نوع "المزوكي"، فهو يدخل كذلك ضمن الميسوري. المزوكي في اللسان الدارج لمنطقة الجرف يقابله في اللغة العربية الفصحى كلمة "الصياح"، وهو عبارة عن مقاطع غنائية يتغنى بها في العرس، خلاله يتم البوح بما يخالج الإنسان من أفراح وأراح ومعاناة. وقد نجد استعماله في الحياة اليومية العادية خارج احتفالية العرس، خاصة المرأة في مطبخها أو في طريقها، أو حتى وهي جالسة مع النسوة. فهو شكل تعبيري بسيط يعتمد نغما خاصا يميزه عن باقي الأنماط، ولا تعتمد على قواعد صارمة من حيث الوزن أو القافية، وهذا يجعلها تتماشى مع الظرف والسياق بزمانه ومكانه. فالممارسة اليومية لكل هذه التعبيرات الشعبية الجرفية، تعد بمثابة استعداد أو تدريب من أجل احتفالية العرس أو العقيقة...

المزوكي[1]

صيفي وخريفي اداوه الوالعات
أَمْطُولك ليلة الشتاء عليا
عينيك كحلة أفوك منها هدوب
أشافت فيا أتكول رامي
دربك في الزنقة أبان خلخالها
زي بلادي أراني عرفتو
أداك الدرب أمنين خرجت يامنة
وسبع ليالي ولا طفات نارو
عينيك كحلة أفوق منها هدوب
أشافت فيا تقول رامي
دربك في الزنقة أبان خلخالها
زي بلادي أراني عرفتو

[1] رواية سفهية، الشيخ المهدي بوطاهري الملقب ب(زينبات)، أحد سكان الجرف، يوم الجمعة 04 دجنبر 2020.

مركد على وسادة ولا جملة الصحاح
واللي يشكي بغرام زازا بحال اللي قاسو لجراح

- **كال مول الكلام**

أما شكل "كال مول الكلام"، فهو عبارة عن مقاطع كلامية متفاوتة من حيث الطول والقصر، يشارك في أدائها شخصان، منشد يعبر بالكلام شطرا شطرا، وشخص آخر يقوم بترديد الحرف الأخير من كل شطر مبتدئا بمد أو همزة قطع مكسورة، ويستعمل هذا الشكل الشعبي خصيصا "للتمهيد لإعلان الهدية أو الإكرامية التي يتفضل بها أحد الأقارب أو المدعوين أو الحاضرين لفائدة العريس(وهذا هو الأصل)، أو لفائدة المجموعة الغنائية التي تنشط حفل العرس كما أصبحنا نشاهد مؤخرا. وتخصص ليلة الحناء في الوسط الجرفي، التي يعقبها زفاف العروس إلى عريسها بعد طلوع الفجر، لإنشاد "كال مول الكلام" وجمع الهدايا والتبرعات"[1].

"كال مول الكلام"

(1)[2]

جات بركات وارسل التبريحة خالصة
من عند اللي كيهد ويمد أطاه الله ما يمد
من عند اللي كيهيل وميل ووطا على الأرض بالجميل
واللي شاف فيه بالنهار كيحلم به في الليل
وهو فلان(ويذكر اسمه) زين السمية

(2)[3]

اللي يلومني يبليه بنار الغرام..... آم
يذبال خيالو طيف صار بيا.....آم
اذوق ما جرى لي يسكن لو فلعظام...آم

---

[1] عبد الصادق سالم، مرجع سابق، ص336-337.
[2] عبد الصادق سالم، المرجع نفسه، ص 336.
[3] رواية شفوية: الهاشمي اعميمي الملقب ب (عمودة)، شيخ من شيوخ الفن البلدي الجرفي، يوم الأربعاء 02 دجنبر 2020.

تما يعذر ويشوف هذا لبليا.....إيا

- **التهلال**

أما بخصوص "التهلال" أو ما يسمى "الصبوحي"، هو شكل تعبيري شعبي يكون في الصباح الأول للعريس والعروسة، بعد ليلة الدخلة مباشرة، وكأنه يخلد أول صباح للعروسة في منزل زوجها، حيث تقدم لها تحية بواسطة مقاطع غنائية تتم فيها التهنئة بالزواج، ونجاح ليلة الدخلة. ويكون ذلك بإيقاع وأهازيج شعبية معروفة لدى جميع سكان المنطقة، صغارا وكبارا، وغالبا ما يقتصر الأداء على النساء فقط دون الرجال. إنه شكل ثقافي يعبر عن نمط عيش وأسلوب الاحتفال الطقوسي، يحاول الجميع في إطار تعاوني تضامني مشاركة أهل العرس أفراحهم، وكأن الفرح فرح مجتمع وليس خاصا بالأسرة لوحدها.

"التهلال"(الصبوحي)[1]

عريسنا صباح الخير
يا لقاطعة في الواد
أ داك البياض منين بان
هزي يبان وشامك
ولا تبروري جابتو رعدة
ياو ياو
خاطري بغى ملقاك
تكرد الغزال من كراعو
يا أم عيون سرادة
لا يتربحو صياد
ياو ياو
صاكها بغى خلخال
يا عريسنا صباح الخير

[1] رواية شفوية، المصطفى عميمي، أستاذ وباحث في التراث، رئيس جمعية فضاء النخيل للتنمية وتدوين التراث المحلي بالجرف، الأربعاء 02 دجنبر 2020.

- **الشطيبي**

وبخصوص "الشطيبي"، فهو يتميز عن باقي أشكال التعبيرات الثقافية الأخرى بسياق وإيقاع مختلفين، حيث أنه يكون في آخر كل مقطوعة غنائية في شكل حوارات عاطفية تارة، أو مقاطع تتبع خطوات معينة، كفترة دخول العريس على عروسه من بدايتها إلى نهايتها. وتؤدى بطريقة فردية وجماعة في نفس الوقت، فالشيخ يردد المقطع الأول متبوعا بالمقطع الثاني وهكذا، بينما الجمهور يردد معه القطع الثاني فقط، حيث يعيش الجميع حالة الحماس والتواصل المستمر حتى نهاية الحفلة. وتجدر الإشارة إلى أن مقاطع الفن الثقافي الشعبي بواحة الجرف، تحتل حيزا زمنيا كبيرا في الأداء، لأنها كثيفة وطويلة وتحتمل التكرار.

1.الشطيبي[1]

(1) ها مولاي السلطان جا

(2) بسكينو يا سادت

(1)دار على الناس مشى وجا

(2) أ هزينا لوا الأعلام

(1)دخل القبة المجلجلة

(2) أتما نفذ الأحكام

(1)تبات الليلة طاهجة

(2)بقشابة يا سلام

2.الشطيبي[2]

طلت مزينها بطلة كيف القايد في محلة

من بيتها جديد وشعورها طالقة جريد

ويا أم شعور زينك ما هو في العلوج

---

[1] عميمي المصطفى، الميسوري، ضمن كتاب جماعي بعنوان: توثيق النصوص الشفهية للتراث الشعبي الفني بواحة الجرف تافيلالت-مساهمة في التأريخ وحفظ الذاكرة-، تقديم: الصديق الصادقي العماري، بدعم من وزارة الثقافة والاتصال-قطاع الثقافة-، إشراف: المديرية الجهوية للثقافة لجهة درعة تافيلالت، مطبعة مؤسسة الراوي للتجارة والخدمات، الرشيدية، المغرب، ط1، يناير 2018، ص135.

[2] رواية شفوية، عادل كرومي، باحث في الأدب الشعبي الجرفي، كاتب عام المركز المغربي للمسرح وفنون الأداء بالجرف، الأربعاء 02 دجنبر 2020.

هو في بنات الجرفية
أ يامي أ يامي أ يامي أ يامي عذبوك يا مينة
غربتونا وا وا
قلتها لو أُ مبغاشي أماني أ راه ارحم لي والديا
-راني ما نسلم غير رجال البلاد
رجال البلاد حيين أو نايمين دارنا في حماكوا
-طلت مزينها بطلة كيف القايد في محلة
من بيتها جديد وشعورها طالقة جريد
ويا أم شعور زينك ما هو في العلوج
هو في بنات الجرفية

- **الكناوي**

تظهر في الثقافة الشعبية الجرفية اللمسة الإفريقية المتجذرة في تاريخ واحة غريس خاصة، وتافيلالت عامة، حيث نجد أشكالا تعبيرية ثقافية كناوية، دخلت ضمن المكون الثقافي الجرفي إضافة إلى المنيعي. وتسمى الكناوية بلغة أهل الجرف "قريبشلة"، والتي ظلت محافظة على أسلوبها وطريقة أدائها وحتى المقاطع الفنية والآلات المستعملة وكذا اللباس...، بل حتى نوعية عناصر الفرق جميعهم من السود أو العبيد ذوي البشرة السوداء.

فالقبائل الإفريقية تتواجد ضمن المكونات البشرية لواحة الجرف منذ القديم، ويحظون بالاحترام والتقدير، بل ويتوفرون على أراضي فلاحية وزراعية خاصة، ولهم علاقات تفاعلية جيدة مع المكونات البشرية الأخرى بواحة الجرف. "وهم متواجدون ببعض المناطق الناطقة بالأمازيغية كقصر "الخملية" بمرزوكة، وقصر "أم اللعب" بكلميمة، وقصر "السات" بتنجداد، كما يتواجدون كذلك بالمناطق الناطقة بالعربية كمدغرة، وبعض قصور عرب الصباح"[1].

[1] كريمي سعيد، ظاهرة كناوة بتافيلالت، ضمن كتاب جماعي بعنوان: التراث الشفهي بتافيلالت-الأنماط والمكونات، إشراف: سعيد كريمي وموحى صواك، اتحاد كتاب المغرب-فرع الرشيدية، بدعم من المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، الرشيدية، المغرب، ط1، 2008، 433.

الجيلالي[1]

جلالي سيدي جيلالي يا الله أسيدي جلالي
يا الله أسيدي الجيلالي مولاي عبد القادر الجلالي
داويني سيدي داويني يا الله يا سيدي جلالي
يا الله أسيدي جلالي
شريف اكول جلالي
مسكين اكول جلالي
ديوان سيدي جلالي
أجلالي جلالي جلالي معروف الله
الا اله الا الله سيدي يا رسول الله
با بلالي ضيف النبي سيدي يا رسول الله
الا اله الا الله سيدي يا رسول الله
أجاني شيخي جاني أجاني بودربالة
أجاني المعلم سيدي
الا اله إلا الله سيدي يا رسول الله
أيي يا با با أجاني بودربالة
أجاني المعمر سيدي أجاني بودربالة

كناوة مكون إثني وثقافي منتشر عبر كافة أرجاء الوطن، وغالبا ما تتميز أشكالهم الثقافية الغنائية بالطابع الديني الإسلامي وذلك يظهر من المتن الغنائي، ويحيون مواسم بانتظام إضافة إلى مشاركاتهم في المهرجانات واللقاءات الثقافية، "ويسمى الموسم الذي يحيونه ب "دردبة"، حيث يكون تتويجا لانتهاء الموسم الفلاحي، إذ يعدون الذبائح، ويحتفلون، ويغنون، ويرقصون بشكل طقوسي، وتخضع كل ممارساتهم لمجموعة من الشعائر والمعتقدات الثقافية الأنثروبولوجية التي تعطي فرادة وخصوصية متميزة لهذه الممارسات"[2].

[1] سعيد كريمي، ظاهرة كناوة بتافيلالت، ص 441.
[2] كريمي سعيد، المرجع السابق، 2017، ص 62.

فالليلة الكناوية تتميز بطقوس عجائبية خاصة، إذ تتخذ من ظواهر التملك أو التلبس أساسا لها، كطقس التداوي والاستشفاء من المس، وما شابهها من طريقة "الجذبة" التي تقيمها الفرقة الكناوية وفق شروط وضوابط محددة، مرفوقة بعناصر طقوسية أخرى من قبيل الموسيقى والرقص والبخور والأوان... وتتميز طقوس الطائفة الكناوية بنوع من القداسة انطلاقا من قدرة فاعليها على استحضار القوى الخفية واستدعائهم لتقاسمهم الاحتفالية، "بكونها حالة من الشعور تتألف من مكونين، أحدهما سيكولوجي نفسي والآخر ثقافي"[1].

إن طقوس احتفالية كناوة، وكل الممارسات العجائبية في هذا الاحتفال، تظهر من خلال اللباس ونوع الكلام أو الرسالة ومضمونها، فهناك من يعتبرها خرافة ولا أساس لها من الصحة، وهناك كذلك من يرى أنها "ممارسة تطهيرية وعلاجية تمحو الشعور بالذنب وتيسر التوبة"[2].

خاتمة

الثقافة الشعبية بالمغرب، منذ فترات تاريخية طويلة، بقيت في معزل عن الاهتمام والعناية التي تستحقها، وزلت منحصرة في التداول الشفهي فقط، وعلى ما تحفظه الصدور، وتتداوله الألسن، وعبر هذه الآليات تناقلت من جيل إلى آخر، بعيدا عن الأرشفة والتدوين في الكتب والمخطوطات، وبهذا كانت في منأى عن البحث العلمي الأكاديمي الرصين. وذلك هو حال الثقافة الشعبة الجرفية بواحات غريس عند قبائل عرب الصباح، بالرغم من أنها تلعب دورا كبيرا في تشكيل صورة المنطقة في جميع أشكالها الاجتماعية والاقتصادية والأيديولوجية... على غرار المناطق الأخرى للمغرب.

فحفظ وتدوين الذاكرة الجماعية لمجتمع ما من شأنه الحفاظ على الهوية الثقافية، وبالتالي الحضارية، كما يسهم في استقرار هذا المجتمع وهو يقوم بدوره

---

[1] Gilbert Rouget, La musique et la transe, Esquisse d'une théorie générale des relations de la musique et la possession, publié avec le concours du centre National de la Recherche Scientifique, Gallimard, 1980, p 25.

[2] Mana Abdelkader, les Regraga, Eddif maroc, 1988, p 162.

التاريخي وسط محيطه العام، دون أن يخرج عن سياقه الاستراتيجي وسط هذا المحيط، وذلك لكون الذاكرة تعتبر الخزان الحضاري لهذا المجتمع، فهي تتميز بقدرة كبير على حشد التراكمات الثقافية للمجتمع وحفظها، كما أنها لا تحفظ إلا الوقائع والأحداث والتجارب والتعبيرات القوية التي تجسد لحضورها بشكل بارز.

فالذاكرة تمتاز بالغائية لأن المجتمع ينطلق من غاية محددة تجعله يحفظ تجربته، كما أنها هي المتحكم في صيرورة المجتمع وتوجيهه من الناحية الذهنية، وهذا ما يدفع إلى القول بأن المجتمع الذي يفقد ذاكرته يصبح محكوما عليه بالشلل، إن لم نقل الموت الحضاري. وبالتالي لا معنى لمرجعية لا تمكن أصحابها من اتخاذ المواقف اللازمة لمسارهم الثقافي والحضاري، وبهذا المعنى تساهم الذاكرة الجماعية في الاستجابة للتحديات التي من الممكن مصادفتها، فتنمية الحيوية والفاعلية في مضمون الضمير الجمعي، وتجاوز جوانب الجمود والتحجر التي يمكن أن يصيبه بفعل النسيان أو الإهمال مطلبا أساسيا للحفاظ على هوية المجتمع والدفع به إلى الانخراط في التقدم الحضاري المطلوب.

فعناصر وأشكال الثقافة الشعبية بكل تمظهراتها التعبيرية الفنية، في جل المناسبات والاحتفالات الدينية والوطنية والطقوسية حاضرة بقوة، إنها قوة الأشياء التي تفرضها ضرورة الانتماء بفعل الجوار والتواصل والتفاعل الدائم. فهي عبارة عن مزيج من أجزاء ثقافية المختلفة والمتنوعة، وبالرغم من ذلك تكون فسيفساء ثقافي ينهل من الميسوري والنكادي والشطيبي والهلالي والكناوي وحتى المنيعي.

فالحفاظ على هذا النوع من التراث الفني من شأنه أن يعزز الانتماء المحلي والوطني، وبهذا منحه القيمة الاعتبارية التي يستحقها من أجل الانخراط مثلا في أشكال مقاولاتية، ضمن ما يسمى اليوم بالمقاولة الثقافية، لأنه تراث قادر على التسويق لنفسه، وخلق موارد اقتصادية يمكن أن ترفع من مستوى التشغيل بمنطقة الجرف.

بيبليوغرافيا

- **الكتب باللغة العربية**

- عبد الله هرهار، التنوع الثقافي: قضايا وإشكالات، منشورات أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب،2020، ص79.

- حسن حافظي علوي، سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1997، ص 90.

- هيام الملقي، ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1995، ص 261.

- **مقالات الكتب الجماعية باللغة العربية**

- سعيد كريمي، ظاهرة كناوة بتافيلالت، ضمن كتاب جماعي بعنوان: التراث الشفهي بتافيلالت-الأنماط والمكونات، إشراف: سعيد كريمي وموحى صواك، اتحاد كتاب المغرب-فرع الرشيدية، بدعم من المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، الرشيدية، المغرب، ط1، 2008، 433.

- عبد الرزاق السعيدي، مجتمع الواحة بالجرف(تافيلالت) وأنساقه الثقافية والفنية-مقاربة تاريخية لثقافة وفنون الهامش-، كتاب جماعي: "درعة تافيلالت فنون الفرجة، الأنماط الثقافية والمجتمع"، إعداد وتنسيق: د. عبد الرزاق السعيدي، منشورات جمعية فضاء النخيل للتنمية وتدوين التراث المحلي بالجرف، بدعم من المديرية الجهوية لوزارة الثقافة-درعة تافيلالت، مطبعة ETERCOS، الرشيدية، المغرب، مارس 2017، ص17-18.

- الصادقي العماري الصديق، تقديم، كتاب جماعي بعنوان: توثيق النصوص الشفهية للتراث الشعبي الفني بواحة الجرف تافيلالت-مساهمة في التأريخ وحفظ الذاكرة-، تنسيق: عبد الرحيم رزوقي، بدعم من وزارة الثقافة والاتصال-قطاع الثقافة-، إشراف: المديرية الجهوية للثقافة لجهة درعة تافيلالت، مطبعة مؤسسة الراوي للتجارة والخدمات، الرشيدية، المغرب، ط1، يناير 2018، ص11.

- عبد الصادق سالم، فن الجرفي، ضمن: التراث الشفهي بتافيلالت-الأنماط والمكونات، إشراف: سعيد كريمي وموحى صواك، اتحاد كتاب المغرب-فرع الرشيدية، بدعم من المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، الرشيدية، المغرب، ط1، 2008، ص335-336.

- سعيد كريمي، عتبات التراث اللامادي بتافيلالت اختلاف الأصول وتناغم الروافد، ضمن كتاب جماعي: "درعة تافيلالت فنون الفرجة، الأنماط الثقافية والمجتمع"، إعداد وتنسيق: د. عبد الرزاق السعيدي، منشورات جمعية فضاء النخيل للتنمية وتدوين التراث المحلي بالجرف، بدعم من المديرية الجهوية لوزارة الثقافة-درعة تافيلالت، مطبعة ETERCOS، الرشيدية، المغرب، مارس 2017، ص 55.

- المصطفى عميمي، المزوكي، ضمن كتاب جماعي بعنوان: توثيق النصوص الشفهية للتراث الشعبي الفني بواحة الجرف تافيلالت-مساهمة في التأريخ وحفظ الذاكرة-، تقديم: الصديق الصادقي العماري، بدعم من وزارة الثقافة والاتصال-قطاع الثقافة-، إشراف: المديرية الجهوية للثقافة لجهة درعة تافيلالت، مطبعة مؤسسة الراوي للتجارة والخدمات، الرشيدية، المغرب، ط1، يناير 2018، ص11.

- المصطفى عميمي، الميسوري، ضمن كتاب جماعي بعنوان: توثيق النصوص الشفهية للتراث الشعبي الفني بواحة الجرف تافيلالت-مساهمة في التأريخ وحفظ الذاكرة-، تقديم: الصديق الصادقي العماري، بدعم من وزارة الثقافة والاتصال-قطاع الثقافة-، إشراف: المديرية الجهوية للثقافة لجهة درعة تافيلالت، مطبعة مؤسسة الراوي للتجارة والخدمات، الرشيدية، المغرب، ط1، يناير 2018، ص135.

- جون ستوري، ما الثقافة الشعبية؟، ضمن: الكرنفال في الثقافة الشعبية، إعداد وترجمة: خالدة حامد، ط1، منشورات المتوسط، بغداد، العراق، 2017، ص07.

- **مقالات المجلات باللغة العربية**

- محمد بزيكا، مفهوم الثقافة الشعبية بين المثقف العضوي والتقليدي، مجلة آفاق، اتحاد كتاب المغرب، السلسلة الجديدة، ع9، يناير 1982، ص 13.

- قبايلي عمر، مدخل للثقافة الشعبية العربية-مقاربة أنثروبولوجية-، الأثر(مجلة الآداب واللغات)، ع7، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ماي 2008، ص 175.

- عبد اللطيف البرغوثي، بين التراث الرسمي والتراث الشعبي، مجلة الصامد الاقتصادي، العددان 67-68، السنة 9، أيار، حزيران تموز، آب، 1997، ص 24.

- عباس الجراري، المبدع بين الفردية والجماعية، مجلة المأثورات الشعبية، العدد الثالث، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، الدوحة-قطر، يوليو 1986، ص37.

- هاني العمد، في التراث الشعبي وإشكالية تصنيفه، مجلة المأثورات الشعبية، العدد الثاني، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، الدوحة-قطر، أبريل 1986، ص38.

- **الروايات**

- رشيدة زنوحي، ونسيت أنها أنثى (رواية)، مراجعة وتقديم: الصديق الصادقي العماري، منشورات مجلة كراسات تربوية، الرشيدية، مطبعة بنلفقيه، الرشيدية، المغرب، مارس 2020.

- **وثائق رسمية**

- المخطط الجماعي للتنمية حول الجماعة القروية عرب الصباح غريس، إعداد الجماعة القروية عرب الصباح غريس بدعم من وكالة التنمية الاجتماعية، 2011-2016.

- **الروايات الشفوية**

- المصطفى اعميمي، أستاذ وباحث في التراث، رئيس جمعية فضاء النخيل للتنمية وتدوين التراث المحلي بالجرف، الأربعاء 02 دجنبر 2020.

- الشيخ المهدي بوطاهري الملقب ب(زينبات)، أحد سكان الجرف، يوم الجمعة 04 دجنبر 2020.

- الهاشمي اعميمي الملقب ب (عمودة)، شيخ من شيوخ الفن البلدي الجرفي، يوم الأربعاء 02 دجنبر 2020.

- عادل كرومي، باحث في الأدب الشعبي الجرفي، كاتب عام المركز المغربي للمسرح وفنون الأداء بالجرف، الأربعاء 02 دجنبر 2020.

- **المراجع الأجنبية**

- Gilbert Rouget, La musique et la transe, Esquisse d'une théorie générale des relations de la musique et la possession, publié avec le concours du centre National de la Recherche Scientifique, Gallimard, 1980.

- Mana Abdelkader, les Regraga, Eddif maroc, 1988.

الفهرس

تقديم
الدكتور عبد القادر محمدي 5

مظاهر الثقافة الشعبية عند قبائل عرب الصباح-غريس
الطقوس الاحتفالية
الصديق الصادقي العماري 7

التراث الثقافي اللامادي بالمغرب-مقاربة مفاهمية-
عز الدين المعتصم 33

قراءة في بعض الطقوس والعادات القديمة لدى قبائل أيت عطّا بالجنوب الشرقي المغربي
كمال محمد 51

الخصائص المعمارية لقصور الجرف بالرشيدية في ضوء ضوابط العمارة الإسلامية-قصر أولاد غانم مثالا-
د. عبد المجيد النوري 69

المْزُوكِي تُراث نسْوي بواحات جَنُوب المَغْرب
بشرى عثماني 91

القصة الشعبية الأمازيغية في الجنوب الشرقي من المغرب
أبعاد ودلالات في الموروث الثقافي
دة. مليكة ناعيم ود. إدريس محمد صقر جرادات 115

التراث العمراني بواحات الجنوب الشرقي المغربي: المسجد الكبير بأسرير – فركلة مثالا
د. محمد المرتضي 135

الأدب الأمازيغي والثقافة الشعبية المغربية: إشكالية تحديد المفاهيم
حميد القويسمي 145

نحو بطاقة أنثروبولوجية لرقصة الكدرة بالصحراء المغربية
د. عبد القادر محمدي 163

الطقس بين الدين والأسطورة في أعراس قبائل أيت عطا بالجنوب الشرقي
الحسن وخويا علي 175

الموارد المائية بتافيلالت بين الندرة وإشكالية التدبير
د. العرابي جبار ود.عبد العزيز بويحياوي 203

لقد شارك في هذا الاحتفاء، المتمثل في إعداد مواد هذا الكتاب، مجموعة من الأساتذة الباحثين والطلبة الباحثين في مراكز الدكتوراه بمختلف كليات الآداب والعلوم الإنسانية من جامعات مغربية متعددة (فاس، القنيطرة، أكادير...)، إن كل هؤلاء الباحثين وإن اختلفت تخصصاتهم ومجالات اشتغالهم، إلا أن ما يوحدهم هو انتماؤهم للواحة وهاجس تسديد بعض الدين لها، بالعودة إليها لنفض ما علق بها من آفة النسيان والإهمال وسوء الفهم والتقدير، سواء من طرف باحثين أجانب أو بعض المغاربة.

إن العمل على إدراج هذه الثقافة الواحية المحلية في برصة التداول الأكاديمي بحثا ونقدا، لمن شأنه أن ينصفها ويرد الاعتبار لها، ويعمل على نقل تحدياتها وإشكالاتها ومتخيل ثقافتها، إلى مجال الكتابة الإثنوغرافية الحقيقية التي تعتمد المعايشة منهجا في تدوين وحمل الوقائع الاجتماعية والثقافية الواحية، من وسط جسدها، وتقديمها للقارئ والمتتبع بسلاسة، وذلك عبر لعب هؤلاء الباحثين لدور الباحث المشارك والمتفاعل مع ثقافته المحلية التي يتنفس من داخل خزانها الرمزي الخام والمتحرك.

مطبعة آنفو-برانت
Imp. Info-Print
Tél: 05.35.64.17.36
Fax: 05.35.65.72.47